إعداد : ياسر السيد

من العوامل التي تؤثر على الأطفال سلباً أو إيجاباً

الخلافات الزوجية وأثرها على الأبناء

لاشك أن العلاقة بين الوالدين من أهم العوامل التي تؤثر على حياة الأبناء إيجابا أوسلبا وذلك لأن الأبوين يقومان في الأسرة بدور القيادة والتوجيه والمسؤولية ، بموجب قوله تعالى \ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6) سورة التحريم ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَحْسَبُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: أخرجه أحمد 2/121(6026) و\ «البخاري\» 6/2 و6/4(2751) وفي (الأدب المفرد) 214 و\ «مسلم\» 6/8(4755) و\ «النسائي\» في \ «الكبرى\» 8823 و9128 .

إضافة إلي دورهما كآباء وأمهات وهما في ذلك يضربان لأعضاء الأسرة صغارا وكبارا الأمثلة التي يحتذي بها بطريقة شعورية ولا شعورية علي حد سواء وهما – كذلك – اللذان يوجهان الأبناء لتعلم أنماط السلوك الاجتماعي ، ويحددان مدي إفادة الصغار من الخبرة الاجتماعية التي يهيئان الجو لتعميقها في نفوس هؤلاء الصغار ، وأي خلاف أو تنازع بين الوالدين يكون له تأثيره السيئ علي جميع أفراد الأسرة . وهذا الخلاف تكون له أسباب كثيرة منها :

1 – الاختلاف الكبير بين الوالدين في درجة العلم والثقافة مما يؤدي إلي تنازعهما الدائم في منهج تربية وتنشئة الأبناء .

2 – فاروق السن بين الزوجين وبخاصة إذا كان هذا الفارق كبيراً .

3– ضعف المستوي الاقتصادي للأسرة.

4– تدخل الأقارب ولاسيما \ « الحماة \ » في تنشئة الصغار .

5– إرغام الابن أو الابنة علي الزواج بشريك الحياة لأسباب شخصية أوعائلية دون تراض أو موافقة .

فهذه الأسباب وغيرها تكون سببا في الخلاف بين الزوجين ، وتحويل بيت الزوجية إلي حلبة للمصارعة ، وساحة للحرب ،وهذا الخلاف يتحمل أثره السيئ الأبناء ، وهذا الأثر يأتي عن طريق :

–1تنافس كل من الوالدين علي اكتساب محبة الأبناء ، فالتوتر والنزاع الدائم بين الأبوين قد يؤدي إلي تنافس كل منهما علي اكتساب محبة الأبناء ، وينخدع الصغار بهذا التنافس وسرعان ما ينحاز الطفل لأحد الطرفين علي حساب علاقته بالآخر .

–2 تعلق الأم بابنها وذلك لأن تعاسة الأم أحيانا في حياتها الزوجية يدفعها إلي التعلق بابنها تعلقا شديدا ،فتغمره بالمحبة، وتفرط فيها ،فتفرض عليه نوع من الحماية غير صحي فيشب الطفل قليل الحيلة ، مضطرب الشخصية ، سلبي التفكير .

–3 انصراف أحد الوالدين أو كليهما عن الرغبة في الصغير وذلك لأن كل منهما يري في ابنه صورة للطرف الآخر المكروه فهذا يأمر بشيء والطرف الثاني عنادا ينهي عنه وهذا يخلق نوعاً من الصراع النفسي لدي الطفل ، ويجعله دائما عاجزاً عن اتخاذ أي قرار ، ويؤثر ذلك بالسلب في سلوكه وعلي جميع تصرفاته .

فليضع الأبواب من بداية الحياة الزوجية المعايير التي علي أساسها يعامل كل منهما الآخر ، والمنهج الرشيد الذي من خلاله ينشئان عليه الأبناء ، حتى يخرجان للمجتمع جيلاً صالحا ينفع نفسه ويبني مجد أمته.

«اهدنا الصراط المستقيم» وإعجاز تربوي

آية الصراط المستقيم هي قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]، وهي تقتضي أن يكون من رحمة المسلم بالعالم أن يدعوهم إلى الصراط، ومن رحمة الله بهم أن حماهم من الانحراف أو الانجراف عند السير فيه.. يا لهذا الإعجاز المدهش في الآية..يرجع الطرف عند التأمل كليلاً حسيراً ثم يقلب الأمر كرة أخرى فيمتلئ إعجاباً وروعة.. وقد تتساءل ما الأمر هنا

الأمر أن الله تعالى أراد لنا في هذا السؤال أن نرتقي أربع درجات –رحمة بنا–:

الدرجة الأولى: الاهتداء إلى الصراط ببيانه وبتعريف الله لنا تعرفنا عليه.

الدرجة الثانية: الاهتداء بالوصول إليه وهذه درجة ثانية بعد الأولى.

الدرجة الثالثة: الدخول فيه بعد الوصول إليه.

الدرجة الرابعة: الثبات على ما فيه من سبل السلام ومسالك الاستقامة، وعدم الانحراف عنها، أو الخروج عن الصراط، وذلك يكون بعد الدخول فيه.

وقد جُمعت كل هذه المعاني الرائعة في حذف حرف الجر بعد فعل الهداية في هذه الآية: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6]، فقد تعدى الفعل (اهدنا) بنفسه، والسؤال في الإعجاز البياني التربوي: لماذا (هدى) هنا تعدى بنفسه إلى مفعولين؟

الجواب:

هدى يأتي على ثلاث حالات:

الحالة الأولى: يتعدى بنفسه إلى المفعولين كما في هذه الآية: فالمفعول الأول: (نا)، والثاني: (الصراط).

الحالة الثانية: يتعدى إلى المفعول الثاني وهو المهدي إليه بإلى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:142]، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:19]، وفي هذه الحالة فإن المتعدي بـ(إلى) يستعمل لمن لم يكن سائرا في الطريق فدل عليه فقط: فالأصل أن (إلى) لانتهاء الغاية المكانية والزمانية في مثل هذه الأحوال، فهو يصل إلى بوابة الطريق، ويحتاج بعد ذلك إلى هداية ثانية بعد وصوله إليه ليدخل ويثبت ويستمر عليه، ويأخذ بأحسن أجزائه ، وأفضل نظمه ومواضعه، ولذلك يأتي فعل الهداية متعديا بـ(إلى) إذا أريد التعريف المجمل بصراط الإسلام مقابل مناهج الشرك والضلال، فقوله –تعالى ذكره– ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:161] أتى (هدى) متعديا بـ(إلى) رداً على المشركين الذين انحرفوا عن ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى كأنهم لم يروها ولم يصلوا إليها، وفي الوقت ذاته يعتز النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه هو الذي اهتدى إلى ذلك الصراط.

الحالة الثالثة: يتعدى إلى المفعول الثاني وهو المهدي إليه باللام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:213]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف:43]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:9]، وأما المتعدي باللام: فيستعمل في الوصول كذلك ودخول الجنة، أو الاستمساك بالمهدي له كالوصول إلى الأقوم والتمسك به.

فاستبان لنا أن الأعلى رتبة من الحالات الثلاث هو المتعدي بنفسه حيث يستعمل في الهداية لمن لم يكن في الطريق ليحدث له الأمور الأربعة: معرفة الطريق، الوصول إليه، دخوله، الثبات فيه، والتوفيق لسلوك أفضل خصاله، وأجمل أجزاء كماله، وهو الذي هدف إليه المتنافسون على الخيرات، واختار الله لهم أن يرددوه في سورة (الفاتحة) لتتحقق لهم الأمور الأربعة، فلذا لم يُعَدِّه باللام ولا بإلى، فقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6].

بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعنى الصراط بأتم لفظ، وأجمل رسم:

المراد من هذه الآية العظيمة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7] التزام صراط الله المستقيم، واجتناب طرق المغضوب عليهم والضالين، وقد صوّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك تصويراً محسوساً رائعاً بأبلغ لفظ، وأبين تمثيل في حديثين يبينان الجمال في المقال، وتقريب المعاني للفكر والحس والتصور والخيال:

الحديث الأول: بلغ فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم غاية قصوى في بيان طريق الإسلام وغايته في الرحمة بالخلق والعواصم المبثوثة فيه لمنع الانحراف أثناء المسير فقد روى أحمد –بسند حسن– عن النواس بن سمعان الأنصاري –رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا، ولا تتفرجوا– أو قال: ولا تعوجوا–، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك، لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتابُ الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظُ الله في قلب كل مسلم))

فانظر كيف يصور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماهية الصراط وحقيقته، وكونه نصب لإنقاذ البشرية، وكيف يظهر حدب القائمين على الصراط على الإنسانية بدعوتهم إلى سلوك سبيل السلامة بالدخول في الصراط، وانظر كيف صوّر حال الداخلين فيه السائرين عليه وقد حماهم بأنواع من الحماية من أن تجرهم أنفسهم لمغادرته، أو تجاوز حدود السلامة فيه فتخطفهم الطير أو تهوي بهم رياح الأهواء والمعاصي والبدع في مكان سحيق.. أفلا ترى الدعاية العظيمة أمام الصراط للبشرية بدعوتهم للدخول؟.. أما ترى الحراسة القوية الفخيمة داخل الصراط لهم لئلا ينحرفوا؟.. وانظر كيف ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم العواصم من الانحرافات الداخلية التي قد تأخذ بالمرء بعيدا عن جسر السلامة، وصراط الاستقامة.

الحديث الثاني: يضع فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم صورة رائعة للصراط المستقيم، وللاستقامة عليه، والحذر من الاعتداءات الخارجية عنه تجر من يسير عليه إلى الطرق المضلة، وهذا الحديث رواه أحمد –بسند حسن– عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطا بيده، ثم قال: ((هذا سبيل الله مستقيما))، قال: ثم خط عن يمينه وشماله (خطوطا)، ثم قال: ((هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه))، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام:153]

مقاصد سورة سبأ

سورة سبأ هي السورة الرابعة والثلاثون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الثامنة والخمسون بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة لقمان، وقبل سورة الزمر. وهي سورة مكية، وعدد آياتها أربع وخمسون آية.

اسمها وما جاء في بعض آياتها

اسم السورة (سورة سبأ) وهذا الاسم الذي اشتهرت به في كتب السنة، وكتب التفسير، وبين القراء؛ ووجه تسميتها به، أنها ذكرت فيها قصة أهل سبأ. قال المهايمي: «سميت بها لتضمن قصتها آية، تدل على نعيم الجنة في السعة، وعدم الكلفة، والخلو عن الآفة، وتبدلها بالنقم، لمن كفر بالمنعم... وهذا من أعظم مقاصد القرآن».

وقد روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود كان في يده، ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ (الإسراء:81) ﴿جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ (سبأ:49).

وفي كتب السِّيَر: أن الأصنام كانت مشدودة بالرصاص، وأنه ما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي:

وفي الأصنام معتبر
وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

وروى الإمام أحمد في «المسند» عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ: ما هو، أرجل، أم امرأة، أم أرض؟ قال: (بل هو رجل ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وسكن الشام منهم أربعة. فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وأما الشاميون: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان). قال ابن كثير في «تفسيره»: «إسناده حسن، ولم يخرجوه».

وفي «جامع» الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنها سلسلة على صفوان –الحجر الأملس– فـ ﴿إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ (سبأ:23) قال: والشياطين بعضهم فوق بعض) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وروى الترمذي أيضاً في «جامعه» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه، إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما كنتم تقولون لمثل هذا في الجاهلية إذا رأيتموه؟) قالوا: كنا نقول: يموت عظيم، أو يولد عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإنه لا يُرمى به لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا عز وجل إذا قضى أمرا، سبح له حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح إلى هذه السماء، ثم سأل أهل السماء السادسة أهل السماء السابعة: ﴿ماذا قال ربكم﴾؟ قال: فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا، وتختطف الشياطين السمع، فيرمون فيقذفونه إلى أوليائهم، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يحرفونه ويزيدون). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مقاصد السورة

المقاصد الكلية التي تضمنتها السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسة: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وتفصيل ما تضمنته السورة من مقاصد وفق التالي:

– إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراك آلهة مع الله، وإنكار البعث، فابتدأ سبحانه السورة بدليل على انفراده تعالى بالإلهية، ونفي الإلهية عن الأصنام، ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها.

– التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء.

– إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.

– إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهد به علماء أهل الكتاب.

– إلزام الحجة على منكري النبوة.

– بيان معجزات داود وسليمان عليهما السلام.

– تقرير سنة من سنن الله في عباده، وهي أن النعم التي يمنحها الله عباده، إنما تدوم بشكر النعم، وشكر المنعم إنما يكون بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاهتداء بهديه، وأن النعم تتحول إلى نقم وهلاك، إذا أعرض الإنسان عن هدي ربه، بفعله ما نهى الله عنه، وتركه ما أمره الله به، وسلوكه سبيل المفسدين والمكذبين والضالين. كما حصل مع قوم سبأ.

– تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركة من قبل، وأن جعلهم لله شركاء كفران لنعمة الخالق؛ فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه البلايا في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ.

– التحذير من تغرير الشيطان، وأنه عدو للإنسان.

– بيان أن الإيمان والعمل الصالح –لا الأموال ولا الأولاد– هما قوام الحكم والجزاء عند الله.

– بيان أنه ما من قوة في الأرض ولا في السماء تعصم من بطش الله، وما من شفاعة عنده إلا بإذنه.

– وعد المنفقين والمصدقين بالإخلاف.

– تبشير المؤمنين بالنعيم المقيم.

– بيان أن العودة إلى الحياة بعد الممات لتدارك ما فات أمر محال.